المدرسة المغربية في النحو العربي

بنيونس عليوي
و هاجر الملاحي و سليمة عالالة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المدرسة المغربية في النحو العربي

إشراف: د. عبد الرحيم بودلال

من إعداد:
سليمة عالاة |هاجر الملاحي | بنيونس عليوي

المداخلة الأولى: مقدمات حول النحو في المغرب

(بنيونس عليوي)

تمهيد

عرف النحو في المغرب الإسلامي كغيره من البلاد الأعجمية لغة العرب مصاحبة بالفتح الإسلامي، فحملت على الوافدين الجدد الدين واللغة معاً، وهي تخالف بعض الأمصار العربية التي كانت اللغة بها قديمة وكان الإسلام عليها وافداً.

وإذا كانت العجمة – كما يقول محمد حجي – دعت أهل الأندلس إلى تعلم لغة القرآن عن طريق المحاكاة والتعبير الشفوي البسيط وحفظ آيات وسور من القرآن الكريم لأداء شعائر الإسلام، فيمكن القول إن الوضع اللغوي بالغرب الإسلامي كان مبتدؤه دينيا وليس معرفيا.

وكما شاءت حكمة الله تعالى أن يترل القرآن الكريم عربياً معجزاً بلفظه متعبداً بتلاوته، صار مرتبطاً باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً، إذا بها تفهم معانيه وتعرف مقاصده، وتستنبط أحكامه وتدرك حكمه لذلك نشأت علوم اللغة العربية في خدمة القرآن.

ومن أهم علوم اللغة العربية علم النحو وأعظمها فائدة على الإسلام والمسلمين علم النحو الذي واكب الثقافة الإسلامية منذ انطلاقها الأولى.

ويحاول هذا العرض الوقوف على جانب مهم من تاريخ النحو بالمغرب، منذ بدايته الأولى، وصولا إلى مرحلة الشروح والتفسيرات مرورا بمرحلة الدراسة والتحصيل وتبرز أهمية هذا العرض في كونه يؤرخ للنحو بالمغرب الأقصى في استقلال عن النحو بالمشرق العربي من جهة، وعن النحو في الأندلس من جهة أخرى، مع ضرورة التأكيد على التلازم الوثيق بين الغرب الإسلامي والمشرق العربي لغة ودينا، والتلازم بين المغرب الأقصى والأندلس تاريخا وجغرافية.

نشأة النحو العربي

كانت انطلاقة النحو العربي على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حينما عهد إلى أبي الأسود الدؤلي أن ينحو حوه، فوضع أبو الأسود الشذرات الأولى، وتابع تلامذته من بعده عمله، مثل عنبسة الفيل ت ١٠٠ هـ، وناصر بن عاصم تـ ٨٩ هـ، ثم جاء ابن أبي إسحاق الحضرمي فوسعه إليه، أذ شرح علله ومد مقاييسه.

وجاء دور أبي عمر ب العلاء، فوضح الأواصر بين اللغة والنحو، ووثق الصلات بين أوجه القراءات القرآنية، وسماع العرب وبين القواعد النحوية، و لم يتوقف البحث عنده، بل توالى التأصيل مع عيسى بن عمر، ويونس ابن الحبيب الضبي، والخليل ابن أحمد الفراهيدي، الذي يعود إليه الفضل في جعل النحو "علما" انضبطت قواعده واتضحت تعاليله، وظهرت أوجه قياسه، ثم جمع هذا النحو في كتاب شامل، قال عنه لنحاة "إنه لم يسبقه إلى مثله أحد و لم يلحق به بعده"[1] وهذا الكتاب هو كتاب سيبويه.

ترك سيبويه للعلماء كتابه فأقبلوا على دراسته وروايته وشرحه واستظهاره إقبالا منقطع النظير حتى بلغ الأمر بمن كان يحفظه أن يختمه مرة كل خمسة وعشر يوما.

وبعد هذا الكتاب، ظهرت كتب لا تختلف عن كتاب سيبويه سوى في "تفريعات جزئية لا تمس هيكل الصرح الشامخ، الذي وضع الخليل تصميماته الهندسية، وأقام سيبويه تشييده، وكل من جاء بعده، لم يستطع سوى وضع لمسات تكميلية، كإضافات فرعية أو اعتراضات على بعد التراكيب الثانوية، أو تبديل المصطلحات الإسمية أو اختيارات تعليلية[2].

وهذا الكلام لا ينقص من مجهودات من جاء بعد سيبويه سواء أهل الكوفة أو أهل بغداد أو مصر والشام أو المغرب، فكلهم بذلوا جهود طيبة لتوسيع ساحة هذا الصرح العظيم، وإثراء جهازه المفاهيمي، وتقويم أسسه، وتقريبه مناهج العلوم وانتقاء أكثر القواعد انضباط وتقنينه.

الفتح الإسلامي للغرب الإسلامي

بدأ الفتح الإسلامي للمغرب الأقصى في الحملة السادسة التي قادها عقبة بن نافع سنة ٦١ هـ الموافق لـ ٦٨٠م في عهد يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني، وبهذه المرحلة انتهت مرحلة المحاولات الأولى للفتح لفتح المغرب، و لم يتوقف الفتح حتى أصبح المغرب من شرقه إلى ساحله المحيط الأطلسي جزءا لا يتجزأ من الأراضي الإسلامي.

تطور العلوم بالمغرب بعد الفتح الإسلامي

شهد المغرب الإسلامي نهضة علمية، برزت معالمها من خلال تعدد مراكز العلم، مثل جامع عقبة بالقيروان، وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وغيرها من المراكز العلمية، وقد تخرج منها العديد من العلماء في مختلف العلوم واللغات والفنون والآدب، فنجد إبراهيم بن الأغلب في الشعر

[1] أخبار النحويين الصريين للصيرفي، ص: ٦٤

[2] محمد المختار ولد باه، تاريخ النحو في العربي في المشرق والمغرب، ص: ١٩

والبلاغة، وابن الطرماح في اللغة والأدب، وإسحاق بن عمران في الطب وظهر علم الجغرافيا وعلم التاريخ والأنساب والفلسفة.

فبعد الفتوحات الإسلامية أسلمت عدة أمصار غير عربية، فتوسعت العلوم العربية وتم إثراؤها فلا يمكن أن نغفل ما كان للفتح الإسلامي من مزج قوي بين الأمة الفاتحة والأمم المفتوحة "مزج في الدم ومزج في النظم الاجتماعية ومزج في الآراء العقلية ومزج في العقائد الدينية" وحركة المد في الإسلام لم تسلك وجهة واحدة، فقد أدى هذا المد إلى هجرة جماعات وقبائل وعلماء كبار خارج الجزير العربية، بدأت بالصحابة رضي الله عنهم الذين تفرقوا في البلاد وبثوا فيها العلم ، وسار على نهجهم الأئمة ورجال الحكم، مثل الإمام الشافعي في مصر وإدريس الأول بالمغرب وعبد الرحمان الأموي بالأندلس، وقد كان لرحلة أبي علي القالي إلى الأندلس أثر كبير في تطور علوم اللغة، واستمر تطور النحو حتى اكتمل نضجه في نهاية القرن السابع الهجري.

نافذة على الدراسات النحوية في المغرب الإسلامي

لقد أثر ظهور الإسلام بشكل واضح في الحياة العربية فكانت له بصماته الواضحة في تقاليدها وثقافتها وعلومها، وكذلك في لغتها، و لم يقتصر هذا التأثير على شبه الجزيرة العربية. بل لمس كل بقعة جغرافية وصل الإسلام إليها، ومن بين هذه الأقطار نجد الغرب الإسلامي والأندلس بصفة خاصة، فما سطعت شمس الإسلام على هذه البلاد حتى أخذت تنهل من معين العلم الإسلامي في عهد الأمويين، وقد كانت العلوم اللغوية متطورة في هذا العصر سواء في المشرق أو المغرب بسبب عامل الدين، إلا أن البعد الذي كان بين المشرق والمغرب قضى أن يتأخر ردحا من الزمن، إلى أن كمل ووضح النحو العربي.

ففي بداية الفتح الإسلامي كانت عناية الولاة منصرفة إلى إخضاع البلاد للخلافة لكن بعد أن استقل بنو أمية بالأندلس على يد عبد الرحمان الداخل وتوطد الملك له ولعقبه فيها، استقبلت الأندلس عهدا جديدا وبدأت الحركة العلمية تدب في أواصله بفضل مناصرة بني أمية للغة جريا على دأب أجدادهم المشارقة، فرغبوا العلماء في العلم وكافؤوهم على دراساتهم وتصنفهم، واستحدث ذلك دول المغرب التي كانت تموج بالاضطرابات حينذاك، ففي المغرب الأقصى نشأت دولة الأدارسة على يد إدريس بن عبد الله بن الحسن في مدينة وليلي وضمت إليها بلاد تلمسان وفي شمال إفريقية ظهرت دول الأغالبة التي أسسها إبراهيم بن الأغلب التيمي، ثم قامت الدولة الفاطمية وامتد نفوذها من المحيط الأطلسي إلى مصر سنة ٣٥٠ هـــــ، فنهض المغرب يجاري الأندلس بحكم قرب الجوار واتحاد اللغة والدين، لذلك تحشم أفراد من المغرب والأندلس الأسفار إلى المشرق ورووا عن علمائها واقتبسوا من معارفهم، إذ لم يكن بمقدورهم الرحلات إلى البوادي ومشافهة الاعراب كما صنع المشارقة. وقفلوا بعد ذلك إلى المغرب

مزودين بعلوم المشارقة زيادة على ما جلبوه معهم من مؤلفاتهم وقد كان للمغرب في ذلك فضل السبق على الاندلس لقرب بلادهم من المشرق وبعد الاندلسيين منه.[٣]

ارتبطت العلوم الفقهية اللغوية ارتباطا وثيقا لما لها من صلة بالقرآن الكريم، وكان من رواد هذا الاتجاه في الاندلس... أبو مسى الهواري، الذي رحل إلى المشرق والتقى الإمام مالك ونظرائه، ثم دخل الأعراب في مجالها، وأخذ عن الأصمعي وابن يزيد الأنصاري، غير أن «أول م اختص في النحو هو جودي بن عثمان ت ١٩٨ هـــــ، الذي قيل عنه إنه أول م صنف في النحو في الأندلس بعدما تتلمذ للكسائي والفراء، وهكذا شق النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس ورسخت قدميه على يد مفرج بن مالك النحوي المعروف بالبغل الذي شرح أحد كتب الكسائي.

ويعود سبب تأصيل النحو الكوفي بالمغرب في رأي علال الفاسي إلى تعلق المغاربة بما ترمز له الكوفة من ولاء لعلي بن أبي طالب وللعترة الشريفة[٤]، واتصال الأندلسيين بالنحو الكوفي قبل البصري لم يكن محض صدفة بل له أسباب من بينها، طبيعة النحو الكوفي الذي يتميز بالسهولة والبساطة مقارنة مع النحو البصري، ونذكر في هذا الباب كتاب "مختصر في النحو" الذي يعد أول كتاب نحوي دخل الأندلس، وقد أدخله جودي بن عثما ١٩٨ هـــــ، وكان هذا الكتاب صغيرا مختصرا يعطي الفائدة المرجوة دون إغراق في العلل.

مرت أعوام والنحو الكوفي يسيطر على الساحة النحوية في المغرب والأندلس، وأصبح دارسوه قادرين على تجاوز النحو المختصر إلى النحو الآخر ـنحو البصرةـ بقياسه وأحكامه المعقدة ليتخلصوا من بساطة النحو الكوفي الذي يقرر القاعدة في النحو ولو بشاهد واحد، وهذا الأمر على ما يبدو كان سببا في الاضطرابات في نحو العربي، ولهذا وجه علماء النحو الأندلسيين جهودهم نحو المدرسة البصرية التي طبعت نحوهم فيما بعد وإذا كان "جودي" النحوي أول من أدخل النحو الكوفي إلى الأندلس، فإن محمد ابن موسى تـــــ ٣٠٧ هـــــ، هو من أدخل النحو البصري وذلك بإدخاله الكتاب "كتاب سيبويه" إلى هذا القطر فقد رحل إلى المشرق العربي ولقي أبا جعفر الدينوري وصبوا كل عنايتم عليه بشرحه أو الاستدراك عليه أو دراسته وتدريسه، وقد بلغ الكتاب مرتبة عظيمة في نفوسهم، حتى كان الناس يتساءلون —عن الرجل– هل يقرأ كتاب سيبويه، فإن قيلا لا، يقولون لا يعرف شيئا.[٥]

---

[٣] محمد الطنطاوي، نشأة علم النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص: ٢١٨ ـ ٢١٩

[٤] علال الفاسي، سيبويه والمدرسة المغربية الأندلسية في النحو نقلا عن محمد المختار ولد باه، ص: ٢٢٣

[٥] جلال الدين السيوطي، بغية اللوعة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص: ٣٣١

وسنحاول تتبع معالم وخصائص الدراسة النحوية في المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي إلى حدود العصر العلوي.

العهد الإدريسي (١٧٢ – ٣٦٤ هـــ، ٧٨٨ – ٩٧٤م)

مما ميز هذه الفترة من ناحية الدراسات اللغوية:

- خروج المغاربة في رحلات علمية إلى المشرق والقيروان والأندلس وعودتهم إلى المغرب.
- كثرة الوفود العربية التي قصدت مدينة فاس قادمة إليها من الأندلس والقيروان.
- تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم وإعجابهم بلغته وإعجازه.
- تهجير أفواج من المغاربة إلى المشرق وعودة بعضهم وقد تعلموا اللغة العربية.[٦]

عهد المرابطين (٤٤٨ – ٥٤١ هـــ، ١٠٥٦– ١١٤٧م)

يمكن الحديث عن في هذا العصر عن إلمام نحوي محض نبع فيه أعلام مغاربة وصفو بالنباهة والإمامة في العربية ومن الخصائص اللغوية الخاصة بالاهتمام النحوي في هذه الفترة يمكن إجمالها في نقط رئيسة منها:

- توسع تعليم ساكنة المغرب اللغة العربية وعلومها وخاصة جانب النحو، والعمل على توطيد التعريب وفك العزلة بتوجيه مسا التعريب نحو بعض المناطق وذلك بتشييد الجوامع والمدارس الدينية وتلقين البربر أبجديات اللغة العربية.
- انتشار ظاهرة تحفيظ القرآن بوتيرة جلية بين القبائل البربرية، وتوجيه الفقهاء للطلبة على منوال القراءات.
- ظهور اتجاه مدرسي ديني يوفق بين علوم الشريعة واللغة العربية في نحوها وصرفها ومعجمها من أجل تفعيل دور المدرسة الدينية.
- ظهور طبقة من الفقهاء ومحاولتهم لتفسير القرآن الكريم بالاستعانة بعلم النحو المصنفات النحوية لتفكيك التراكيب وفهم الجمل المتضمنة والآيات القرآنية.
- الميل إلى الشروح النحوية، وذلك قصد تليين وتيسير النحو للطلاب في الجوامع والمدارس والرابطات[٧].

---

[٦] عباس الجراري، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ص: ٥٠

[٧] يمكن في هذا الشأن العودة لعبد الله كنون، النبوغ المغربي، وأيضا كتاب عباس الجراري المرجع السابق.

عصر الموحدين (٥٤١ – ٦٦٨ هـ، ١١٤٧ – ١٢٦٩م)

يمكن القول إن هذا العهد هو عهد الازدهار اللغوي والعلمي والفكري بكل تجلياته، حيث عرف النشاط النحوي على وجه الخصوص نموا واسعا وأخذت النظرية النحوية المغربية بذلك أفقا جديدا تجسس في انتعاش حركة التأليف النحوي، ويمكن أن نجمل تجليات هذا النشاط العلمي والنحوي فيما يلي:

- ظهور تعليقات وبحوث نحوية أصبحت بدأت تأخذ شكل مقدمات في النحو ومسائله والتي ستصير مع أوج عطاء النهضة اللغوية نمطا جديدا في مسار التأليف والتنظير النحوي في المغرب الأقصى.
- ظهر المنظومات اللغوية التعليمية المدرسية لتسهيل الحفظ والضبط والتلقين والاستظهار على الطلبة.
- تأليف نوع جديد من الكتب النحوية صارت تعرف باسم "القوانين" أو "القانون" والتي ستأخذ منحى جديدا بارزا في حركة التأليف النحوي في المغرب.
- تأليف الشروح النحوية لبعض الكتب المشرقية في علم النحو ككتاب الجمل للزجاجي وشروح غنية للمقدمات النحوية ومن بينها مقدمة الجزولي.
- ظهور نوع من المناظرات اللغوية التي أخذت طابعا تعليميا خصوصا ما وقع بين الجزولي وأبو على "الشلوبيني".[٨]

عصر المرنيين (٦٦٨ – ٨٦٩هـ، ١٢٦٩ – ١٤٦٥م)

ظل العصر المريني عصر الازدهار الفكري والعلمي والأدبي بدون منازع عل الصعيد التاريخي، وذلك م خلال الرقي العلمي والفكري الذي قام عل يد العديد من الشخصيات التي تركت عود فأل للحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى، ولقد أخذت الحياة العلمية حظا وافرا في هذا العصر بأعلام لغوية ونحوية تركت بصمات حية وخالدة في تاريخ ومسار الحركة اللغوية بالمغرب، وبذلك يمكن إجمال خصائص النظرية النحوية آنذاك فيما يلي:

- كثرة الشروح والمختصرات والتأليف حول المقدمات النحوية المغربية والمصنفات النحوية المشرقية ككتاب سيبويه وجمل للزجاجي وإيضاح للفارسي.

---

[٨] الشلوبيني: بفتح الشين المثلثة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون، ولد أبو علي الشلوبيني بإشبيلية عام ٥٦٢هـ.

- صياغة متون نحوية على شكل مختصرات أخذت طابعا تعليميا في المدارس والجوامع لتيسير تلقين النحو للطلاب.
- الالتفاف حول منظومة ابن مالك في النحو وتسهيل الفوائد وما لها من تأثير كبير في مسار التعليل النحوي والاستدلال لدى النحاة المغاربة والطلبة.
- الاعتناء بكتاب سيبويه وشرحه واختصاره واستنباط الأحكام النحوية منه.
- كثرة الحلقات العلمية التي كانت تقام بالمساجد والمدارس والمجالس... وكانت اللغة وعلم النحو والركنان الرئيسان من حيث الحيز الكبير الغالب من فترة الإلقاء بدى الفقهاء والعلماء بالمجالس.[٩]

العهد الوطاسي (٨٦٩ -٩٥٦ هـ، ١٤٦٥ - ١٥٥٢م)

ما يلاحظ في فترة حكم الوطاسيين من الناحية اللغوية هو أنها عرفت جمودا كما عرف مسار التعريب عراقيل متباينة تجسدت ي هيمنة القبائل على الميادين والمستويات الإدارية والاجتماعية، وعلى مستوى الجوامع والمدارس فقد قل التمدرس بين القبائل المغربية وتعميمه بين الناس، إذ كان المطمح الأول لدى الوطاسيين لدرء الأخطار الخارجية، إضافة إلى أن الحكم الوطاسي لم يدم إلا زهاء سبعين حولا، ومن جملة ما يمكن ملاحظة حول تطور علم النحو خلال هذه الفترة:

- جمود التدريس في الجوامع والمدارس الدينية وقلة الالتفاف حول المصنفات النحوية وتشربها،
- قلة الوفود والأفواج الطلابية على المدارس والجوامع واضمحلال الفكر النحوي في المتون والشروح كما عرفت الرحلة العلمية جمودا وتقاعسا بليغين.
- انحصار الاختصار والشروح النحوية في كتاتيب وكراسات.[١٠]

عهد السعديين (٩٥٦ - ١٠٢٢هـ، ١٥٥٢ - ١٦١٣م)

عرفت الحياة العلمية والفكرية واللغوية، انتعاشا طفيفا في بعض المجالات المرتبطة باللغة والادب والفقه ولا سيما النحوية منها، فقد شهدت حقبة السعديين بعض المحاولات الجلية في النهوض بركب الحياة العلمية واللغوية والفكرية وتدارك التراجع الذي عرفه عصر الوطاسيين على نحو هذا الشكل، وقد انتعشت الهجرة العلمية إلى مصر والمشرق والتي تميزت بلقاء المشاهير من العلماء والفقهاء في ذلك

---

[٩] عبد الحكيم بهطاط، البحث النحوي في المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة العلوية، دراسة تأصيلية، بحث لنيل شهادة الماستر بكلية الادب بوجدة، تحست اشراف الدكتور عبد الرحمان بودلال

[١٠] المرجع نفسه

العصر، إضافة إلى انتشار ظاهرة تحفيظ القرآن الكريم في المساجد لعامة الناس، بموازاة بعض ضروب اللغة في النحو اللازمة لهذا الغرض كتحفيظ وتلقين الأجرومية لابن أجروم وألفية ابن مالك لطلبة العلم...

عهد العلويين (بدءا من – ١٠٥٠هـ، ١٦٤١م)

من خلال مجموعة من المحفزات التي أعطت اللبنة الأساس في تفعيل الدرس النحوي في المدارس والجوامع فإن لخصائص النظرية النحوية المغربية آنذاك سمات مميزة منها:

- الميل نحو تأليف الحواشي النحوية لشروح ومختصرات أمهات الكتب في هذا المجال، مثل شرح المكودي على ألفية ابن مالك.
- الاتجاه نحو تأليف الرسائل النحوية في الأدوات والحروف، التي تعم مباحث نحوية كبرى.
- الاهتمام بألفية ابن مالك، وكذلك تأليف المنظومات حول كتاب "مغنين البيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري.
- تأليف المصنفات حول أمهات الكتب في العلل النحوية كالأصول والإيضاح لأبي القاسم الزجاجي.

ومع مهب مطلع القرن العشرين ستعرف الدراسات النحوية في المغرب تغيرا على ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ويصبح بذلك المغرب من رواد الدرس التركيبي واللغوي بصة عامة، في إطار الاتجاه البنيوي ومذهب النحو الوظيفي ومسار النحو التوليدي سيبزغ فجر المغرب في اللسانيات الوصفية والتفسيرية وستأخذ بذلك النظرية النحوية المغربية منحى جديدا ورائدا على المستوى العلمي والأكاديمي.

المداخلة الثانية: بعض أعلام المدرسة المغربية

(هاجر الملاحي)

سنحاول في هذا المحور الحديث عن بعض أبرز الأعلام الذين ذاع سيطهم في المغرب ومختلف البقاع، وساهموا بشكل أو بآخر في خدمة اللغة العربية، والحفاظ عليها في البلاد المغربية:

أبو موسى الجزولي:

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَّبخت بن عيسى بن وماريلي الجزولي اليزْدكْتَني. ولد بإيداء وغرداء في جزولة (وهي من قبائل الأمازيغ)، في مراكش سنة ٥٤٠هـ،[١١] استقر في مراكش عاصمة الدولة الموحدية، فترة طويلة.

من أهم شيوخه :

- ✓ أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري النحوي اللغوي.

ومن تلاميذته:

- ✓ محمد بن أحمد الفهري الذهبي، الذي " أخذ عن الجزولي...ودَرس النحو واللغة وحَمل الناس عنه، وكان إماما متواضعا بارع الخط."[١٢]
- ✓ يوسف بن يحيى التادلي أبو الحجاج، لغوي أديب من قضاة المالكية من أهل تادلة بالمغرب.[١٣]

مؤلفات الجزولي: شرح الأصول في النحو لابن السراح، والمقدمة الجزولية الشهيرة أو مقدمة " القانون"، مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي، وغير ذلك.[١٤]

شاع ذكر الجزولي في مختلف أنحاء البلاد، واشتهر أمره وانهال عليه طلاب العلم من كل صوب حتى ضاق المسجد الذي كان يُدرس فيه.[١٥] ويعتبر الإمام أبو موسى الجزولي، أول من تأسست على يده المدرسة النحوية في المغرب، فقد كان رحمه الله إماما في النحو، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه

---

[١١]- المقدمة الجزولية في النحو، الجزولي، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، مر: حامد أحمد نيل، ص:١٥.

[١٢]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط:١، ١٩٦٥، ٢ /٢٧٨ .

[١٣]- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ، ٩/ ٣٢٩ ،

[١٤]- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ٢تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، /٣٣٧.

[١٥]- نفسه، ص.١٨.

وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون.[١٦]" يقول الإمام ابن الآبار القضاعي في حقه: " وكان إماما في صناعتها، أي العربية، مقدما في معرفتها، لا يجاريه أحد في ذلك من أهل عصر، مع جودة التفهيم والتعليم، وحسن العبارة، وإليه انتهت الرئاسة في هذا الشأن، وهو كان المنفرد به في وقته."[١٧]

ولعل أبرز ما زاد في شهرة الجزولي، مقدمته التي أسماها القانون، فأتى بها "بالعجب العجاب، وهي في غاية الايجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، لم يسبق إلى مثلها.[١٨] كما تتضح هذه الأهمية في الشروحات المستفيضة التي قدمت لها، من طرف النحاة من مختلف الأقطار، كشرح ابن معط، وشرح ابن عصفور...[١٩] ورغم ذلك، يعتقد البعض أن هذه المقدمة " لم تفهم حقيقتها... فإنها كلها رموز وإشارات[٢٠]، بل ويرى البعض أنها مقدمة في المنطق أكثر منها في النحو، غير أنه كما يقول ولد باه: " ومن قبيل المبالغة القول بأن من أئمة النحاة من يعرف النحو ولا يعرفها (في إشارة إلى مقدمة القانون)، أو أنها منطق وليس نحوا، أو أنها ليست سوى حواش لجمل الزجاجي، أو تقيدات وإملاءات لابن بري."[٢١] ويقول أيضا: " والمقدمة من بديع المختصرات التي نشأت في هذا العصر وعرفت تطورا كبيرا فيما بعد، وإبداع الجزولي واضح في نظمه وشدة اختصاره... فجاءت وكأنها مذكرة الحافظ تسعف دارسها باستظهار القواعد الأساسية، في كلمات معدودة في كل باب من أبواب النحو."[٢٢]

ولم يكن أبو موسى الجزولي يتبع مدرسة أو مذهبا معينا، فكان يأخذ من آراء البصريين تارة، ومن الكوفيين أو البغداديين تارة أخرى، حسب ما يراه مناسبا، فكان مثلا ينتصر لرأي " ابن السراج البصري إلى أنه لا يجوز تقدم المفعول به على الفاعل إذا حصل لبس مثل: كلم موسى عيسى." كما كان يذهب أيضا مع أبي علي الفارسي إلى أن نون المثنى والجمع المذكر عوض عن الحركة والتنوين في المفرد. [٢٣] إلى غير ذلك من الآراء التي أيد فيها بعض النحاة المشارقة.

---

[١٦]- الأدب المغربي، محمد بن تاويت، محمد الصادق عفيفي، الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م، ص: ١٣٠.

[١٧] - www.almarkaz.ma/article.aspx?C=٥٨٦٧

[١٨]- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، ٣-١/ ١٥٢.

[١٩]- تاريخ النحو في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد باه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٨، ص: ٢٦٧.

[٢٠]- النبوغ، ص: ١٥٢.

[٢١]- تاريخ النحو في المشرق والمغرب، ص: ٢٦٦.

[٢٢]- نفسه، ٢٦٦

[٢٣]- المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، ط:٧، ص:٣٠١.

ابن معط:

هو الإمام زيد الدين أبو زكرياء يحي بن معط بن عبد النور أبو الحسن الزواوي، هو من جزول وأصله ونشأته من المغرب.٢٤ وولد سنة ٥٦٤ هـ .

هو تلميذ أبو موسى الجزولي، فقد كان واسع الشهرة في المشرق والمغرب، وعُرف رحمه الله، باهتمامه الكبير باللغة العربية، وكان قادرا على النظم للعلوم، رحل إلى مصر، وأخذ من علمائها ومشايخها علوما شتى، وقام بمجموعة من المناظرات، ثم رحل إلى دمشق وسكن بها طويلا.

مصنفاته:[٢٥]

- ✓ " الذرة الأليفة في علم العربية " وتعرف بألفية ابن معط.
- ✓ "المثلث" في اللغة، والعقود والقوانين في النحو
- ✓ الفصول الخمسون في النحو.

ولعل أهم ما ألف في هذا المجال ألفيته التي أبدع في نظمها، فقد كان له الفضل الكبير في ظهور هذا النوع من النظم، الذي يتميز بأسلوب جديد، يُمكِّن من فهم النحو دون اللجوء إلى المختصرات الأخرى، رغم أن ألفيته " الدرة الألفية" لم يكتب لها النجاح كما كتب لمن سار على نهجه كابن مالك.[٢٦]

كما تميز منهاج ابن معط، أنه أخذ من البصرة والكوفة وكذا البغداديين، إضافة إلى انتقائه أراء نحاة عصره من الأندلسيين والمغاربة. فتبع مثلا البصريين في استعمال المصطلحات، وترجيح آرائهم في بعض مسائل الخلاف، كقولهم إن " إما حرف عطف. وتابع سيبويهٍ كذلك في إعراب الأسماء الستة فقال:

وستة بالواو رفعا إن تضف والياء في الجر وفي النصب

كما أنه تفرد بمجموعة من الآراء النحوية في قضايا مختلفة، كمنعه مثلا تقديم خبر مادام على اسمها، فقال:

ولا يجـــــوز أن تقدم الخبر على اسم مادام وجاز في الآخر

---

[٢٤]- النبوغ المغربي، ١٥٣.

[٢٥]- المدرسة المغربية في النحو العربي، متن الأجرومية عينة، عبد العزيز بن هنية-، مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص: ٧٤.

[٢٦]-إسهامات نحاة المغرب والأندلس في تأصيل الدرس النحوي العربي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، يحياوي حفيظة، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، ٢٠١١، ص: ١١٨

ومن آرائه أيضا: الشروط التي وضعها للمفعول له، وقال فيها:

ثم الذي سمي مفعولا له ينصب نحو جئت زيدا قتله

مقارنا للفعل فعل الفاعل أعم منه لا بلفظِ العامل

وفاته: توفي سنة ٦٢٨هـ، رحمة الله عليه.

١- ابن الربيع السبتي:

هو عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الله، أبو الحسين ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني.

ولد سنة (٥٩٩هـ)، بإشبيلية.

شيوخه: أبو عمر محمد بن أبي هارون التميمي الإشبيلي، وبن يحيى الأنصاري الإشبيلي المعروف بالقرطبي.

تلاميذته: تلمذ على يده العديد من كبار العلماء من بينهم: أحمد بن البلِّشي المالقي، أحمد بن عبد الله الأنصاري الرصافي المرسي.

مؤلفاته: خلف ابن الربيع مؤلفات جليلة، كلها تدور في فلك العربية وعلومها، وخاصة علم النحو:

- ✓ الإفصاح في شرح الإيضاح: رغم المؤلف صرح في مقدمة الكتاب بأنه سماه " الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح".
- ✓ الرد على مالك ابن المرحل في مسألة كان ماذا.
- ✓ القوانين النحوية.
- ✓ الملخص في ضبط قوانين العربية.

وقد وصفه الذهبي ب" إمام أهل النحو في زمانه"، وقال عنه ابن القاضي: " وكان زعيم وقته في النقل، وحدة التأليف، ودقة النظر، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيرا بالفقه وأصوله، والقراءات والحساب والفرائض، إمام الناس في النحو."

توفي رحمه الله في يوم الجمعة ١٦ صفر عام (٦٨٨هـ).

المداخلة الثالثة: ابن الأجروم والمكودي

(سليمة عالاة)

لقد اهتم المغاربة بمجال الدراسات النحوية منذ دخول الفاتحين، حيث كانت عجمة لسانهم حافزا على تعلم لغة القرآن الكريم وعلوم اللغة. وقد انتشرت العلوم المختلفة في المغرب لحرص أهلها على التعلم والعلم، وكانت أول العلوم التي ظهرت هي الفقه ثم تلته العلوم الأخرى خصوصا في عصر المرابطين. ويقول عبد الله كنون:" ظهر في هذا العصر أيضا الاشتغال بالعلوم الأدبية واللسانية من نحو ولغة وشعر"[٢٧]. أما النحو العربي والذي هو ميدان دراستنا فقد لقي اقبالا كبيرا في المغرب وكان النحو الكوفي أول ما عرفه المغاربة ولعل مرد ذلك هو أن هذا النحو تعليمي يتناسب مع حاجة المغاربة للنحو في تلك المرحلة. أما النحو البصري فقد تأخر الاهتمام به بالمقارنة مع النحو الكوفي، ولكن بعد ذلك بدأ المغاربة يهتمون بكتاب سيبويه من خلال تدريسه للطلاب وتناولوه بالشرح والتعليق والحفظ. أما النحو البغدادي فقد وصل إلى المغرب بعد فترة يمكن القول بأنها طويلة من وصول النحوين البصري والكوفي. وبعده النحو المصري. ولكننا لا بد لنا أن نقف عند قول ابن خلدون عن ابن هشام الأنصاري الذي قال عنه:" ولازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام وهو أنحى من سيبويه". فقوله هذا لا يعني أن النحو في المغرب بدأ بكتاب المغني لابن هشام لأن المدرسة المغربية أعرق من المصرية.

وبعد هذه المقدمة سنتابع سردنا لأعلام المدرسة المغربية وسنقف عند علمين مهمين وهما ابن الأجروم والمكودي.

ابن الأجروم

هو أبو عبد الله بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي، المشهور بابن الأجروم ومعناه في اللغة العربية الرجل الصوفي. كان إماما في النحو واللغة توفي سنة٧٢٣هـ بفاس. ولا يوجد شيء في المصادر القديمة حول نشأته وولادته[٢٨].وقد طارت شهرته في العالم العربي بمتن أو مختصر لتعليم الناشئة وهو المقدمة الأجرومية وظلت كثير من الجوامع والمدارس الكبرى تفتح تعليم النحو بهذا المختصر الذي يجمع أصول ومعالم النحو الأساسية.

---

[٢٧]– عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص:٨٠.

[٢٨] نفس المرجع، ص:٢١٠

مذهبه كما أشرت في مقدمة هذا العرض فالنحو الكوفي هو الذي غلب على نحاة المغرب في البداية وهذه الفكرة تتجلى بوضوح في مذهب ابن الأجروم الذي تبنى هذا المذهب حيث السيوطي: "وكان على مذهب الكوفيين في النحو".

مؤلفاته له مؤلفات عديدة وأهمها المقدمة الأجرومية أو متن الأجرومية أو الأجرومية، ومعلوم أن المقدمة الأجرومية التي اشتهر بها ابن الأجروم لم يهتم بها العالم العربي فقد بل العالم الغربي كذلك، إذ طبعها المستشرقون مرارا وترجموها إلى لغاتهم اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وكانت أول ترجمة لها في روما سنة ١٥٩٢[٢٩]. والناظر في متن الأجرومية يكاد يجزم أن ابن الأجروم كوفي، لهذا ذهب مهدي المخزومي إلى أن متن الأجرومية تعد من الكتب الكوفية فقال: "من الكتب الكوفية المعروفة هي المقدمة الأجرومية المشهورة لابن الأجرومية وهي مختصر في النحو الكوفي"[٣٠].

وإذا ما حولنا استقراء النحو المغربي من خلال متن الأجرومية أمكننا أن نقول بأن له مواطن اتفاق واختلاف مع النحو البصري تبعا لاتفاق واختلاف ابن الأجروم معه.وسأبدأ بالاختلافات لأنها هي التي حكم المؤرخون على الأجرومية أنها مختصر كوفي وبالتالي تعميمه على النحو الذي ساد في المغرب في تلك المرحلة بالخصوص.

فمن مواطن الاختلاف:

١ــ إطلاق المصنف لفظ الجزم وهو من ألقاب الإعراب بمعنى أن فعل الأمر مجزوم بلام الأمر المقدرة، وهذا مخالف للبصريين الذين يقولون بأنه مبني على السكون.

٢ــ مخالفته للبصريين الذين قالوا بأن المضارع المنصوب بعد الأجوبة الثمانية إنما منصوب بأن المضمرة، أما ابن الأجروم فأخذ برأي الكوفيين الذين قالوا بأن هذه الأدوات هي الناصبة بنفسها.

٣ــ ذكر أن الجوازم ثمانية عشرة وأدخلها فيها كيفما لأنهما موضوعة لدلالة على الحال والجزم بها مذهب كوفي، أما البصريين فهو غير جائز عندهم[٣١].

---

[٢٩]- شوقي ضيف، تاريخ المغرب والأندلس: ٣٤٧.

[٣٠]- مهدي المخزومي، المدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة، ص:٩٤.

[٣١] - خالد الأزهري، الدرر السنية في دراسة المقدمة الأجرومية، ص:٤٢.

ـــ مواضع الاتفاق

ومن مواضع اتفاق ابن الأجروم مع البصريين نذكر عده حتى من حروف العطف، وهو موقف ستناسب وموقف سيبويه وعامة البصريين، أما الكوفيين فينكرون العطف بها ويخرجون ما بعدها على إضمار عامر وأنها ابتدائية[٣٢].

ـــ قوله بجواز الجر برب المحذوفة على خلاف الكوفيين الذين يقولون إنما تم بالواو النائبة عن رب.

ولعل ما تقدم ذكره تشير إلى تأثر الرجل بالنحو الكوفي، أما في يخص آراؤه في مسائل القياس والتعليل فلا نجد له موقف لأن الرجل لم يتعمق فيهم بل اقتصر على ما ينفع المبتدئين.

المكودي

اشتهر من المكودين اثنان منهم أحدهم أبو عبد الله المكودي الشاعر، والثاني هو أبو عبد الرحمان بن صالح المكودي النحوي من فاس، توفي سنة٨٠٧هـــ.

وهو مؤسس مدرسة ابن مالك في المغرب[٣٣]، عاش المكودي في عصر ازدهرت فيه الحركة الفكرية وهو عصر المرنيين. حيث كان اهتمام العلماء في هذه المرحلة منصب على تعرف أسرار اللغة ومعانيها[٣٤].برع المكودي في علوم الأصول والأدب عامة حتى قال عنه الأمير الأندلسي: "هو شاعر مجيد، قد فاق في النحو وسلم نظمه من الحشو مقرئ للعلوم العربية بنفس مطاوعة[٣٥].وقال عنه عبد الله كنون آخر من أقرأ كتاب سيبويه في فاس[٣٦]. وأول من شرح الألفية ابن مالك التي اشتهرت بسببه في فاس. بل إن شرحه لها ظل يدرس بفاس إلى ما قبل الحركة السلفية.

مؤلفاته له مؤلفات عديدة ـــأشهرها شرح المكودي على ألفية ابن مالك. والذي يطالع هذا الشرح يجد أنه مشمل على قواعد النحو والصرف التي جمعها ابن مالك ألفيته وجاء المكودي وأطلق عقله على شرح هذا النظم مع توخيه التسهيل والبعد عن التعقيد.

٣٢- جامع الدروس العربية، ص:٣٢٠.

٣٣- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص:٢١١.

٣٤- شوقي ضيف، تاريخ المغرب والأندلس، ص:٣٤٤.

٣٥- نثير الجمان، أعلام المغرب والأندلس، ص:٣٧٢.

٣٦- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص:٢١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآراء النحوية للنحاة المغاربة

وللنحاة المغاربة آراء نحوية شأنهم في ذلك شأن كل النحاة الآخرون ومن هذه الآراء:

ـــ تجوزيهم تأخير حال الفاضل على اسم التفضيل قال السيوطي: «وأجاز بعض المغاربة تأخير الحالين عن أفعل بشرط أن يليه الحال الأولى مفصولة عنه في الثنية فيقال هذا أطيب يسرا منه رطبا"[٣٧].

ـــ اعتبارهم نصب غير في الاستثناء كنصب المستثنى بـــ إلا قال ابن هشام: "وانتصاب غير في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد إلا عندهم"[٣٨].

ـــ عدم اعتبارهم العطف بأم المنقطعة منقطعا قال الصبان: "فابن جني والمغاربة يقولون ليست بعاطفة أصلا، لا في المفرد ولا في الجملة"[٣٩].

ومن خلال هؤلاء الأعلام الذين تم ذكرهم وأيضا من خلال هذه الآراء النحوية، نجد أن النحاة المغاربة كانت لهم اجتهادات نحوية كغيرهم مما كان لهم اجتهاد وتأليف في هذا المجال، فاستحقوا بذلك أن تكون لهم مدرسة نحوية تسمى بالمدرسة المغربية رغم أن بعضهم ضمها للمدرسة الأندلسية واعتبرهما واحد كما فعل الطنطاوي في كتابه نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة الذي قال: "وبذلك استحدثوا مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة والأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس للهجرة الذي يعد فجر النهضة النحوية في هذه البلاد"[٤٠]. ومن هنا فإن نحاة المغرب كان لهم توجههم الخاص، صحيحا أنهم لم يهتموا بالقياس والتعليل، إلا أن دورهم كان منحصر في محاولة إيجاد سبيل آخر لتقريب النحو للمتعلم. فتوصلوا إلى تأليف المنظومات النحوية التي سهلت حفظ القواعد. لأن الشعر يساعد على الحفظ أكثر من النثر. وقد رأينا أن ابن معط أول من صنف في هذا المجال، ثم إننا نجد أن الجزولي في تصنيفه لمقدمته قد أضاف للنحو العربي أسلوبا جديدا في الاختصار. ومن هنا اعتبره المؤرخون رأس المدرسة المغربية لأن الدراسات النحوية في المغرب كما يذكر ابن تاويت تأسست في بداية الأمر على يد الجزولي. لهذا فتيسير النحو كان الهدف الأساس الذي سعى إليها نحاة المغرب وتمكنوا من ترك بصماتهم واضحة وراسخة في علم وصل إليهم بعدما ألفت فيه العديد من الكتب والمصنفات الضخمة في المشرق العربي. ويبقى تأليف المنظومات وتيسير النحو في الأساس فكرة اختصت به المدرسة المغربية ومن هنا

---

[٣٧]- السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع، ٤/٣٠.

[٣٨]- ابن هشام، مغني اللبيب، ١/١٧١.

[٣٩]- حاشية الصبان في عطف النسق.

[٤٠]- الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص:١٩٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان لزاما على الكتب التي تناولت المدارس النحوية أن تضع إلى جانب المدارس الأخرى المشهورة عنوان موسوم بالمدرسة المغربية.

المحتويات

المداخلة الأولى: مقدمات حول النحو في المغرب ٣
(بنيونس عليوي) ٣
تمهيد ٣
نشأة النحو العربي ٣
الفتح الإسلامي للغرب الإسلامي ٤
تطور العلوم بالمغرب بعد الفتح الإسلامي ٤
نافذة على الدراسات النحوية في المغرب الإسلامي ٥
العهد الإدريسي (١٧٢ – ٣٦٤ هـ، ٧٨٨ – ٩٧٤م) ٧
عهد المرابطين (٤٤٨ – ٥٤١ هـ، ١٠٥٦- ١١٤٧م) ٧
عصر الموحدين (٥٤١ – ٦٦٨ هـ، ١١٤٧ – ١٢٦٩م) ٨
عصر المرنيين (٦٦٨ - ٨٦٩هـ، ١٢٦٩ – ١٤٦٥م) ٨
العهد الوطاسي (٨٦٩ -٩٥٦ هـ، ١٤٦٥ - ١٥٥٢م) ٩
عهد السعديين (٩٥٦ - ١٠٢٢هـ، ١٥٥٢ - ١٦١٣م) ٩
عهد العلويين (بدءا من - ١٠٥٠هـ، ١٦٤١م) ١٠
المداخلة الثانية: بعض أعلام المدرسة المغربية ١١
(هاجر الملاحي) ١١
أبو موسى الجزولي: ١١
ابن معط: ١٣
المداخلة الثالثة: ابن الأجروم والمكودي ١٥
(سليمة عالاة) ١٥
ابن الأجروم ١٥
المكودي ١٧

هذا الكتاب منشور في